دراسة فكرة ثعلب عن قاعدة النحوي
(ممثِّلُ أهل النحو من المذهب الكوفي)

Study of the Idea of Tsa'lab on the Rule of Grammar (Representative of Grammarians from the Kufi School)

أحمد شرفي فطاني[١]

جامعة ماكسر الحكومية[١]

ahmad.sirfi.fatoni@unm.ac.id[1]

Abstract

This research reveals Tsa'lab, a world-famous Kufi grammarian, his idea and the most important representative of the Kufi school. Such research is still rare in Indonesia, and this research is essential and prestigious in revealing a person who has a great contribution to building the grammar base. The type of this research is qualitative research using descriptive and critical analysis. The discoveries are as follows: (1) Tsa'lab believed that the *alif* in the dual noun is a substitute for the two *dhammahs* in *Zayd and Zayd*, and that the *waw* is a substitute for the three *dhammahs* in *Zayd, Zayd and Zayd*, and this is a unique idea of Tsa'lab as a representative of the Kufi school; (2) Tsa'lab added the verbs نشب and قام to the sisters of كادَ; (3) Al-Kisa'i and Al-Farra' believed that the function of *inna* can be invalidated if *inna's ism* is far from it, and we see that Tsa'lab sing the words of Badui people: فليت ابن جوَّابٍ من الناس حظُّنا * وأنَّ لنا في النار بعدُ خلودُ ;رُفِعَ على الاستئنافِ *inna's ism* "وأنَّ لنا في النار بعدُ خلودُ" He says after it: "بعدُ خلودُ." (4) Tsa'lab chooses the opinion of Basrah school in the matter "إِذَنْ" that it is permissible to cancel عمل إذنْ and رفعُ المضارع after it with the meeting of the conditions requiring the النصب, such as: "إِذنْ تُفْلِحُ" in response to someone who said: "سَأَجتهِدُ"; (5) Tsa'lab's take sides towards the Kufi school of thought is more relative to his take sides towards the Basrah school of thought, because he is from the grammarians of Kufa; (6) Tsa'lab relied greatly on السماع and الرواية and knowledge of the anomalous and rare parts of the language and its derivations on the tongues of the Arabs and the strange parts of the speech of the Arabs in building his idea about *nahwu.*

Keywords: Tsa'lab; Kufi School; Ijtihad; Tsa'lab's idea; Argument and Reason.

تجريد

هذا البحث يكشف عن ثعلب، نحوي كوفي مشهور في العالم وفكرته والممثِّل الأهمِ من المذهب الكوفي. ومثل هذا البحث مازال قليلا في بلدة إندونيسيا، وهذا البحث جوهري ومرموقٌ في كشف شخص له مساهمة كبيرة في بناء قاعدة النحو. نوع هذا البحث هو البحث الكيفي باستخدام التحليل الوصفي والنقدي. والمكتشفات منه كما يلي: (١) ذهب ثعلبٌ إلى أنَّ الألف في الاسم المثنى بدلٌ من ضَمَّتَيِ زيد وزيد، وأنَّ

الواو بدلٌ من الضمات الثلاث في زيد وزيد وزيد، وهذا هو فكرةٌ فريدة له باعتباره مُمَثِّلا بالمذهب الكوفي؛ (٢) أضاف ثعلب فعليٍ نشبَ وقام على أخوات كاد؛ (٣) ذهب الكسائي والفراء إلى جواز إبطال عمل إِنَّ إذا بعُدَ عنها اسمُها، ونرى ثعلبا ينشدُ قولَ بدويةٍ: "فليت ابن جوَّابٍ من الناس حظُّنا * وأنَّ لنا في النار بعدُ خلودُ؛" ويقول بعقبِه: "وأنَّ لنا في النار بعدُ خلودُ" رُفع على الاستئنافِ؛ (٤) ذهب ثعلب مثلَ مذهبِ البصرة في أمر "إذن" أنها يجوز إلغاؤها ورفعُ المضارع بعدها مع اجتماع الشروط الموجبة للنصبِ، نحو: إذنْ تُفلِحُ، جوابا لمن قال: "سأجتهدُ؛" (٥) انحياز ثعلب بالمذهب الكوفي أكثر بالنسبة من انحيازه بالمذهب البصري، لأنه من نحاة الكوفة؛ (٦) اعتمد ثعلب كثيرا على السماع والرواية والإحاطة بالشاذ والنادر من اللغة وتصاريفها على ألسِنة العرب والغريب من كلام العرب في بناء فكرته عن النحو.

الكلمات المفتاحية: ثعلب؛ المذهب الكوفي؛ اجتهادٌ؛ فكرة ثعلب؛ الاحتجاج والعلة.

المقدمة

علم النحو له دور مهم ومساهمة وطيدة ويحتلُّ مكانة أساسية في كشف النصوص الإسلامية والعربية عميقا، هذا العلم يُعتبرُ أحدا من معلومات العربية الكلاسيكية حيثُ لم يزل يمتلك جذابة رفيعة عالية حتى في وقتنا الراهن من هؤلاء اللغويين في العالم العربي والعالم الغربي، وجدير بالذكر إنما ظهر هذا العلم ليس إلا لأجلِ تحقيق بعثَةٍ كبيرةٍ هي تسليم اللغة العربية من الألحان المفسدة التي تزداد انتشارا في الأقطار العربية وحولها سريعا؛ ومن جهة أخرى ظهور علم النحو حوالِي القرن الأول من الهجرة، يُعَدُّ راسخا وقويا ولا يُشَكُّ فيه أيضا عند أحضان النحاة القدماء أو النحاة المحدثين؛ لماذا مثل هذا، لأنَّ هذا العلم يمتلكُ قواعدَ بناء إبستيمولوجية العلم الناضجة والموثوقة؛ والدليل على ذلك أن أغلبية القواعد النحوية التي قد سبكها هؤلاء النحاة معتمدةٌ على المصطلحات الأساسية مثلَ القياس والسماع والاستصحاب والعلة حيثُ كانت هذه المصطلحات قد وكَّلتْ الصفة العلمية

من نظام العلم، ولذلك كان علم النحو يقدر على كشفه علميا وموضوعيًّا ولديه صفة حيوية ومستمرة أيضا.[٣٢]

علم النحو باعتباره أداة لفهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مهم جدا، إذ به يستطيع كل مسلم على كشف المعلومات العميقة الصميمة من هذا العلم خصوصا عمَّ يتعلق بالدراسات الإسلامية والعربية. ويُعتبرُ هذا العلم كالملح في الطعام، إذ لو كان لا يوجدُ الملحُ في الطعام، لكان مُرًّا أو لم يكن لذيذا لنيل أكلهِ. ولذلك هذا العلم (علم النحو) يحتلُّ مكانة خاصة وقوية جدا في الدراسات الإسلامية ومباحثها.

وأما في مرحلة التطور خصوصا عندما انتشر علم النحو انتشارا واسعا سريعا في البصرة والكوفة وبغداد ومصر والأندلس وكذلك الدول الأخرى فقواعد النحو تعاني من التعقيد الكبير خاصة فيما يتعلق عن القواعد الأساسية مثل الإعراب التقديري. بل قد ادَّعى بعض أهل النحاة أنَّ هذا العلم قد تأثرَ بمنطقِ أرسطو وفلسفة اليونان في مرحلة نشوءه؛ وأما الشاهد الموثوق منه فكانت نظريات النحو وعللها وتأويلاتها أغلبيتها تتجهُ إلى ألغاز الفلسفة ومنطق أرسطو الطريفة.[٣٣]

والأشخاص في علم النحو لهم دور كبير في تقديس القواعد النحوية كي لا تدخل فيها الألحان الطريفة التي تسبب إلى ضوضاء القاعدة. ومن أحدِ الأشخاص في علم النحو المشهور هو ثعلب من المذهب الكوفي، واعلمْ أنَّ هذا المذهب مشهور في مجال هذا العلم، ولثعلب مساهمة كبيرة في توليد القاعدة النحوية، مهما في بعض الأماكن يختلف كثيرا مع هؤلاء النحاة البصريين في أمر تصميم القاعدة النحوية، وهذه الاختلافات تؤدي إلى أنَّ هذا العلم قابل للنقاش الواسع من هؤلاء المتخصصين في علم النحو. وجدير بالذكرِ أنَّ ثعلب هو إمام الكوفيين في عصره، وثالثُ ثلاثةٍ قام

---

[٣٢]أحمد شرفي فطاني، ٢٠٢٠، *الحذف والتقدير في النحو العربي والنموذج من تطبيقهما*، يوكياكرتا: تروس ميديا كرافيكا، ص. ١-٢

[٣٣]علي أبو المكارم، *الحذف والتقدير في النحو العربي*، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ ، ص. ٢٠٤. انظر أيضا محمد عيد، *أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث*، الطبعة الرابعة، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦ ، ص. ١٦٣.

على أعمالهم مذهبُ الكوفة، وهو أيضا علامةٌ محدِّثٌ إمام النحو صاحبُ الفصيح والتصانيف.[٣٤] وسُميَ هذا الرجل ثعلبا لأنه كان إذا سُئلَ عن مسألة أجاب من هاهنا وهاهنا، فشبَّهوه بثعلبٍ إذا أغار؛ وهو أحد علماء اللغة الشهير وله عدد من العلوم كالفقهِ لكن غلبت عليه البضاعةُ اللغوية.

وأما البحوث التي ترتبط بهذا البحث العلمي فهي كما يلي: (١) الفصيح في اللغة لثعلب وهو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار النحوي الشيباني (٢٠٠-٢٩١ هـ). هذا الكتاب الضخم بحث عن ترجمة حياة ثعلب ووصفِ النسخة وبيان قيمتها التراثية. وكشفَ أيضا عن باب "فعَلتُ" بفتح العين، وباب "أَفعلَ"، وباب المشدَّدِ، وباب ما جرى مَثَلا أو كالمثَلِ، وباب حروف منفردة وغيرِ ذلك. هذا الكتاب لايبحث فيه المؤلفُ عن فكرته باعتباره مُمَثِّلًا لغويا نحويا من المذهب الكوفي، وإن كانت تلك المناقشةُ موجودةً لكن بشكل قليل؛[٣٥] (٢) التراث النحوي لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب للكاتب نوره عبد الله عبد العزيز الزعاقي، رسالة الماجستير تحت إشراف طاهر حمودة. هذه الرسالة بحثتْ عن ثعلب وسيرته وثقافته وأخلاقه ووفاته، وبحثتْ أيضا عن التراث النحوي لثعلب والآراء المتأثرة بالسابقين وآراءه الخاصة ومنهجه. ومن التأكيد أنَّ هذه الرسالة لا تبحث كثيرا عن فكرة ثعلب باعتباره مُمَثِّلا في المذهب الكوفي، وأما البحث العلمي الذي سيقوم به الباحث فهو يبحث عن فكرة ثعلب باعتباره مُمَثِّلا في ذلك المذهب؛[٣٦] (٣) المسائل النحوية والصرفية في كتاب مجالس ثعلب: دراسة وصفية تحليلية لأحمد محمد محمود الجوراني، رسالة الماجستير تحت إشرافِ كرم محمد زرندح. هذه الرسالة ناقشت عن المسائل النحوية والصرفية في كتاب مجالس ثعلب؛

---

[٣٤] أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار النحوي الشيباني، ٢٠٢٢، *الفصيح في اللغة*، مؤسسها ورئيس مجلس إدارتها: عبد العزيز سعود البابطين، الكويت: مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي، ص. ١١-١٢.

[٣٥] أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار النحوي الشيباني، ٢٠٢٢، *الفصيح في اللغة*، مؤسسها ورئيس مجلس إدارتها: عبد العزيز سعود البابطين، الكويت: مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي، ص. ١١-٣٢.

[٣٦] نوره عبد الله عبد العزيز الزعاقي، ١٩٨٩ م، *التراث النحوي لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب*، رسالة الماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الدراسات العليا، ص. ١-٣، ١٨٥-٢٤٧.

وهدفُ هذه الرسالة هو استخراج هذا الكنز المتناثر بين صفحات المجالس، والذي يمكن من خلاله التأكيد على مذهبه النحوي الذي يعتمد كثيرا على السماع.[٣٧]

هذا البحثُ تحت موضوع "دراسة فكرة ثعلب عن قاعدة النحو (ممثِّلُ أهل النحو من المذهب الكوفي)" لائق للقيام بعملية أداءه، إذْ هذا مختلِفٌ بعدَّة الدراسات أو البحوث من قبلُ، لأنه يبحث عن أفكار ثعلب النحوي الكوفي التي تتعلق بمنصبه ممثِّلًا للمذهب الكوفي؛ ومن هنا يتمكن من إعطاء إضافة جديدة ونتيجة رائعة عبقرية في مجالات العلوم النحوية خصوصا أمرَ أصول النحو. بناءً على الخلفية المذكورة أعلاها يمكن استخلاصُ عدة لتحديد المشكلة كما يلي: (١) كيف رسم الخريطة لمفاهيم ثعلبٍ فيما يتعلق بقواعد النحو باعتباره ممثِّلا للمذهب الكوفي؟؛ (٢) كيف يميل ثعلب إلى الانحياز إلى المذهب البصري من جهةٍ وإلى المذهب الكوفي من جهة أخرى في بناء نظريته النحويةِ؟؛ من خلال محاولة تقديم المشكلتَيْنِ الأساسيَّتَيْنِ المذكورة من قبلُ، يأمُل الباحث أن يكون هذا البحث له مساهمة كبيرة في تطور علم النحو، لأنه يمكن اختصار القول إنَّ مثل هذا البحث لا يزال قليل لأداء التنفيذ في العصر الكلاسيكي والمعاصر، وخاصة في بلدةِ إندونيسيا.

منهج البحث

نوع هذا البحث هو البحث الكيفي أو البحث النوعي، والتحليل الذي يستخدمه الباحث هو التحليل الوصفي والنقدي. وجدير بالملاحظة أنَّ البحث النوعي هو نوع من البحوث التي

[٣٧] و قد قُسِّمَ البحث إلى ستة فصول: و كان الفصل الأول في ترجمة ثعلب و التعريف بكتابه المجالس، أما الفصل الثاني فبحث عن التمهيد في علم النحو، و من ثم ذكر المرفوعات في كتاب مجالس ثعلب، و يبحث الفصل الثالث عن المنصوبات في كتاب مجالس ثعلب، و خُصصَ الفصلُ الرابع لدراسة المجرورات و ملحقات أبواب النحو في كتاب مجالس ثعلب، و يشتمل الفصل الخامس على التمهيد في علم الصرف، ثم ذُكِرَتْ مسائل الصرف في كتاب مجالس ثعلب، و خُصصَ الفصل السادس بدراسة المسائل الأخرى من النحو و الصرف. و قد توصل الباحث إلى أن كتاب مجالس ثعلب مليء بالمسائل النحوية و الصرفية المفيدة للدارسين، وأن ثعلبا عالم نحوي كوفي المذهب، و يعتمد على السماع و الغريب في كلام العرب. لكن هذه الرسالة لا تبحث عن ثعلب باعتباره مُمَثِّلًا مشهورا عالما في المذهب الكوفي دقيقا وسديدا أو بمصطلح آخر بشكل تفصيلي في إطار علم النحو الكلاسيكي (انظر أحمد محمد محمود الجوراني، ٢٠١٠، *المسائل النحوية و الصرفية في كتاب مجالس ثعلب: دراسة وصفية تحليلية*، (أطروحة الماجستير)، الجامعة الإسلامية فلسطين (قطاع غزة).

تكشِفُ الحالات ومن ثمَّ تحدثُ في مجالٍ واحد أو منطقة معينة. وهدفُ البحثِ النوعي هو فهم الظواهر التي يمرُّ بها الأشخاص الذين خضعوا للبحثِ من خلال الوصف العميق السديد في شكل كلمات ولغات حسب سياق علميٍّ ومجال معَيَّنٍ، وباستخدام الأساليب العلمية المتنوعة حسب السياق. وفُسِّرَ هذا الأسلوب على أنهُ عرضٌ تفصيليٌّ للمعطياتِ وفقا للواقع الموضوعي الذي يشمَلُ موضوعَ البحث العلمي.[٣٨] وأما الطريقة في جمع البيانات التي يستخدمها الباحث فهي طريقة الاستماع بتقنية تدوين الملاحظة.[٣٩]

فالموضوع الرسمي في هذا البحث هو دراسة أفكار شخص لغوي عربي، في حين إنَّ الموضوع المادي هو المؤلفات المهمة المشهورة من ثعلب (نحوي كوفي) والكتب التي تتعلق بأفكار ثعلب. وأما المؤلفات من ثعلب فهي: الفصيح في اللغة، الشواذ، غريب الحديث، غريب القرآن، القراءات، قواعد الشعر، ما تلحن فيه العامةُ، ما يجري وما لا يجري، المجالس، ما ينصرف وما لا ينصرف، النوادر. وجدير بالذكر أنَّ المؤلفاتِ لثعلب كثيرة جدا، لكن أغلبها لم يصل إلينا.

نتيجة البحث ومناقشتها

ترجمة حياة ثعلب

هو أبو العباس أحمد بن يحي، وكان أبوه من موالي بني شيبان، ويغلبُ أن يكون فارسيَّ الأصل، وُلد ببغداد سنةَ ٢٠٠ هـ، وألحقَه أبوه منذ نعومة أظفاره بكتَّاب تعلم فيه الكتابةَ، وحفظ القرآن الكريم العظيم وشدا بعضَ الأشعار. وما كاد يخطو على عتبة سنته التاسعة حتى أخذ يختلف إلى حلقات العلماء، وخاصةً علماء اللغة والعربية، حتى إذا اشتدَّ عوده أخذ نفسَه بجهد صارمٍ في التزود باللغة والنحو؛ أما علم النحو فلزمَ فيه حلقاتِ تلامذةِ الفراء: أبي عبد الله الطُّوال ومحمد بن قادم وسلمة بن عاصم، وعكف على الحلقة الأخيرة حيث كان يملي على الطلاب كتبَ إمام الفراء،

[38] Ahmad Sirfi Fatoni dan Nur Irmayanti Umar, 2024, *Umru' Al-Qais and His Literary Works: Study of Arabic Writer Thought*, Tanwir Arabiyyah: Arabic as Foreign Language Journal, Universitas Muhammadiyah Sumatera Barat, Indonesia, Vol. 4, No. 2, Desember 2023, Hal. 233-244.

[39] Ahmad Sirfi Fatoni, 2019, *Studi Pemikiran Abu Ali al-Farisi tentang Gramatika Arab (Representasi Tokoh Nahwu Madrasah Baghdad)*, Tamaddun: Jurnal Kebudayaan dan Sastra Islam, Vol. 19, No. 1, Juni, Hal. 84-106.

وكان يؤديْها أداء بارعا. وعليه ابتدأ النظرَ في حدود الفراء، وهو في السادسةَ عشرةَ من عمره. وما إنْ بلغَ الخامسة والعشرينَ حتى كان قد حفظَ كلَّ ما للفراء من كتب. وأما اللغة فلزمَ فيها حلقات ابن الأعرابي بضعَ عشرة سنة. ولم يلحَق الأصمعي وأبا عبيدة وأبا زيد، وإنما لحق تلاميذهم، وأخذ عنهم مادة علمهم اللغوي، وأما الأصمعيُّ فأخذَ كتبَه عن تلميذه أبي نصر أحمد بن حاتم، وأخذ كتبَ أبي عبيدة عن تلميذه الأثرم وكُتُبَ أبي زيد عن تلميذه ابن نجدة، كما أخذَ أيضا كتبَ أبي عمرو الشيباني عن ابنه عمرو.

ورأى أن يضمَّ إلى ذلك زادا من القراءاتِ والحديث النبوي والفقه والشعر والأخبار، ووجد عند أستاذه سلمة عَتادًا من قراءات القُراء، وصَله بما ثقفه من حلقات القراء الآخرينَ وما قرأه عند الفراء، مما أتاحَ له أن يصنف في القراءات كتابًا، وأن يكون صاحب قراءةٍ يحملها عنه بعض تلاميذه وفي مقدمتهم أبو بكر بن مجاهد. واختلف إلى حلقات المحدِّثينَ، وخاصةً عبيد الله بن عمر القواريري، وفي بعض الروايات عنهُ أنه سمعَ منه مائةَ ألف حديثٍ. وطبيعي أن يختلفَ إلى حلقاتِ أحمد بن حنبل أكبرِ المحدِّثين والفقهاء في عصره؛ ويظهر واضحا أنه حمل عنه مذهبه الفقهي، إذ نجد أصحاب كتب التراجم للحنابلة تسلكه بينهم. وثقف كثيرا عن رواة الأخبار والأشعار، وفي مقدمتهم عمر بن شبة ومحمد بن سلام الجُمحي صاحبُ كتاب طبقات فحول الشعراء.

وبجانب هذه المادة الغزيرة التي رواها شفاها نجدهُ يعكف على قراءة كتاب سيبويه وكتب الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة. وتتردد قراءته للكتاب في ترجمته، ويقالُ إنه لم يقرأه على العلماء وإنما قرأه بنفسه، وفي أخباره أنهُ طلب من أبي حاتم السجستاني أن ينسخ له كتاب المسائل للأخفش فلبَّى طلبه. وفي محاورةٍ بينه وبين الرياشي لسنة ٢٣٠ هـ ما يدلُّ دلالة واضحة أنهُ كان قد حذق النحو الكوفي والبصري جميعا، ويقول ياقوت إنه كان متبحرا في مذهب البصريين غير أنهُ لم يكن مستخرجا للقياس ولا طالبا له. وقد بدأ تصنيف الكتب وسِنُّهُ لا تتجاوز الثالثةَ والعشرينَ. وسرعان ما أخذ يلقي محاضراته على الطلاب، وهو في الخامسة والعشرين، وظلَّ أكثر من ستين عاما يملي

عليهم، وهم يقصدونه من كل صوب، لما أتقنه من المعرفة بالغريب ورواية الشعر ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين، بل لقد أصبح إمام هذا النحو وعلَمَه المفرد في عصره.

وكان طوال حياته في بحبوحة من العيش، إذ أخذ يرعاه بعض ذوي الجاه والثراء — كما حدثَ عن نفسه — منذ سنة ٢٢٣ هـ، وممن تولاه برعايته محمد بن عبد الله بن طاهر صاحب شرطة بغداد وقد اتخذه مؤدبا لابنه طاهر، وظلَّ يرعاه إلى أنْ تُوفِيَ. ولم يلبث الموفق أخو الخليفة المعتمد الذي كان يطلق يده في أموال الدولة يدبرها حسب مشيئته أن جعل له راتبا سنيًّا. وكان ثعلب مقترا على نفسه مما جعله يتوفى سنة ٢٩١ عن ثروة كبيرةٍ.

وقد صنفَ ثعلب مؤلفاتٍ كثيرة في النحو واللغة والقراءات والأمثال، سقط معظمها من يد الزمن، ولم يصلنا منها إلا كتابه "المجالس" وهو يُعتبرُ كتابا نفيسًا لما يشتملُ عليه من النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والأشعار الغريبة والشاذَّة والأمثال والأقوال المأثورة، وكتابُه الفصيح وقد طبعَ مع شرح للهروي وهو كتابٌ أراد به تقويمَ ألسنة المبتدئينَ على نحو ما أراد الفراء بكتابه "البهاء فيما تلحنُ فيه العامة."

ويقول ابن خلكان إنه ليس فيه زيادات على كتاب الفراء إلا أشياء يسيرة، ثم كتابه قواعد الشعر وهو رسالة قصيرة يقسمُ الشعر فيها إلى أمر ونهي وخبر واستخبار، ويتحدثُ حديثا قصيرا عن أغراضه ويسلك بينها التشبيه، وعن بعض ما يجري فيه من الصور البيانية والبديعية. ويقول القدماء إنه صنع طائفة من دواوين الشعراء الجاهليين والإسلاميين بينهم الأعشى والنابغتان وطفيل والطِّرِمَّاح، وقد نَشرت له دارُ الكتب المصرية شرحَه لديوان زهير الشاعر الجاهلي المشهور.[٤٠]

أصحاب ثعلب

اشتهر من تلاميذ ثعلب كثيرون في مقدمتهم أبو موسى سليمان بن محمد المعروف بالحامض،[٤١] وهو المقدم من أصحابه إذ جلس مجلسه بعد موته، وكان يتعصَّبُ على علماء البصرة،

[٤٠] شوقي ضيف، دون السنة، *المدارس النحوية*، ط. ٧، القاهرة: دار المعارف، ص. ٢٢٤-٢٢٦.

[٤١] أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ١٤١٧ هـ، *تاريخ بغداد*، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، ج. ٩، ص. ٦١. انظر أيضا عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري، ١٩٥٩ م، *نزهة الألباء في طبقات الأدباء*،

وصبَّ عنايته على قراءَته للناس كُتُبَ أستاذه ثعلب كما كان يقرأ كتبَ الفراء خاصة كتابه تحت موضوع "الإدغام" وألف مختصرا في علم النحو، وما زال يوالي التدريس حتى توفي سنة ٣٠٥ هـ.

ومن أصحاب ثعلب غلامه أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد، وكان حافظا مكثِرًا من اللغة وفيها ألَّف كتابه "الياقوت" وظل يزيد في نسخته حتى كانت آخر عَرْضاته له سنة ٣٣١ هـ، وله بعد ذلك مصنفات لغوية كثيرة منها شرح كتاب أستاذه "الفصيح" وكتاب فائت معجم العين وكتاب فائت الجمهرة والرد على ابن دريد، وقد توفيَ سنة ٣٤٥ هـ.

ولا يقل عن هذينِ الصاحبينِ أو التلميذينِ تأثرًا بثعلب واقتداء بمباحثه تلميذه أبو بكر محمد بن الحسن المقرئ النحوي العطار المعروف باسم ابن مقْسم؛ وكان يُعنَى بدارسة النحو على المذهب الكوفي وله فيه بعض المصنفات غير أنه ركز نشاطَه في القراءات فألفَ فيها كتبا ومصنفات مختلفة، منها كتاب السبعة الكبير. وقد تأخرتْ وفاته حتى سنة ٣٥٤ هـ.

وكلُّ هؤلاء التلاميذ لا تدورُ لهم آراء في كتب النحو، وكأنما كانوا امتدادا لمباحث ثعلب اللغوية، وقد اتَّسَعَ بها ابن مقسم في الاحتجاج للقراءات السبعة وكان يقصر عليها نشاطَه، وربما كان أنبه تلاميذ ثعلب في المباحث النحوية أبو بكر بن الأنباري.[٤٢]

أبو بكر بن الأنباري (تلميذ ثعلب المشهور المتبحرُ)

هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، وُلدَ سنة ٢٧١ هـ، وأكبَّ منذ نشأته على حلقات العلماء في عصره، وخاصة حلقة ثعلب، وكانت له حافظة قوية، حتى قالوا إنهُ كان يحفظُ من شواهد القرآن ثلاثمائة ألف بيتٍ. وصنَّفَ كتبا كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديثِ والمشكل والوقف والابتداء، كما صنف أبو بكر في اللغة والنحو كتابَ الأضداد وهو منشور، وكتاب

بغداد: مطبعة المعارف، ص. ١٤١. انظر أيضا ياقوت الحموي الرومي، ١٩٩٣، *معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*، ط. ١، المحقق: إحسان عباس، بيروت – لبنان: دار الغرب الإسلامي، ج. ١١، ص. ٢٥٣. انظر أيضا الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القِفْطي، ١٩٨٦ م، *إنباه الرواة على أنباه النحاة*، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، ج. ٢، ص. ٢١. انظر أيضا جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ١٩٧٩ م، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، ط. ٢، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار الفكر، ص. ٢٦٢.

[٤٢] شوقي ضيف، دون السنة، *المدارس النحوية*، ط. ٧، القاهرة: دار المعارف، ص. ٢٣٧–٢٣٨.

المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتابي الكافي والموضح في النحو. ونراه يعني بتعليم الناشئةِ صورَ أساليب اللغة العربية في بعض أقاصيص، وكان يرويها. وصنع عدة دواوين قديمة، في مقدمتها ديوانُ الأعشى والنابغة وزهير والراعي. ومن أهمِّ آثاره شرحه للمفضلياتِ، وهو منشورٌ، ويكتظ بمعارفه الواسعة في اللغة والأشعار وأيام العرب. ولم يمتد عمره طويلا، فقد توفِّيَ سنة ٣٢٨ هـ.

ومَنْ يرجعُ إلى كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي لا يشكُّ في أنه كان أحد مَنْ دعموا النحو الكوفي بالعلل المنطقية دعمًا لم يتوافر لأستاذه ثعلب، وكأنما كان عقله أكثر منطقية وأقدرَ على التعليل والبرهنة والاطلاع بالحجج البينة، على نحو ما كان واضحا في تعليله لاشتقاق المصدر من الفعل، إذ يقول: "الدليل على أنَّ المصادر بعد الأفعال وأنها مأخوذة منها أنَّ المصادر تكون توكيدا للأفعال كقولك: ضرب زيد ضربا، وخرج زيد خروجا، وقعد أبو بكر قعودا وما شابه ذلك، ولا خلافَ في أن المصادر هنا توكيد للأفعال، والتوكيد تابع للمؤَكَّدِ ثان بعده، والمؤَكَّد سابق له، فدلَّ ذلك على أنَّ المصدر تابع للفعل مأخوذ منه وأنَّ الفعل هو الأصل الذي أُخِذَ منه." ونرى الزجاجي يذكره في مواضع مختلفةٍ حين يتحدَّثُ عن عللِ الكوفيين، مما يجعلنا نؤمنُ بأنه كان في مقدمة منْ توسعوا فيها وحاولوا إحكامَها إحكاما دقيقا.[٤٣]

فكرة ثعلب عن القواعد النحوية

وإذا أخذنا نستعرضُ مجالسَه وما نسبتْه كتب النحو له من آراء وجدناه مطبقا تطبيقا واسعا لآراء الفراء والكسائي وما نهجاه لمدرستهما من أصول وما دار على لسانيهما من مصطلحات وما أخذا به أنفسهما من السماع عن العرب والتوسع في روايته واستمداد الآراء النحوية منه.

والآن نبدأ باستعراض المصطلحات الكوفية عند ثعلب، فمن ذلك التقريب، وهو اسم الإشارة حين يليهِ مرفوعٌ ومنصوبٌ، فقد كانوا يُشبهونه بكان الناقصة، ومعروف أنهم كانوا يُعربونَ خبرَها حالا كما مرَّ بنا عند الفراء. ونرى ثعلبًا يقول: "هذا تكون مثالا (وهي التي لا يليها مرفوع ومنصوب) وتكون تقريبا، فإذا كانت مثالا قلت هذا زيد ... وإذا قلت هذا كزيد قائما فهو حالٌ

[٤٣] شوقي ضيف، دون السنة، *المدارس النحوية*، ط. ٧، القاهرة: دار المعارف، ص. ٢٣٨-٢٣٩.

كأنكَ قلت هذا زيد قائمًا ولكنك قد قرَّبته. والتقريب مثلُ كان." وهذا دليل على ميل ثعلب إلى المذهب الكوفي.

ويقول في موضع آخر من مجالسه: "تقول هذا الخليفة قائما، والخليفة قائمٌ، فتدخل (هذا) وتخرجه فيكون المعنى واحدا، وكلما رأيت إدخال (هذا) وإخراجه واحدا فهو تقريبٌ مثل قولهم من كان من الناس سعيدا فهذا الصياد شقيا، وهو قولك فالصيادُ شقي، فتسقط هذا وهو بمعناه." وواضحٌ أنهُ يشيرُ بذلك إلى أنَّ دخول اسم الإشارة على عبارة "الصياد شقي" يشبه تماما دخول كان.

وكان يسمى اسم الفاعل بالفعل الدائم، يقول: "ولا تجئ عسى إلا مع مستقبل ولا تجيء مع ماض ولا دائم ولا صفة." ويقول ابن كيسان قال لي ثعلبٌ: "كيف تقول مررت برجلٍ قائمٍ أَبوه؟ فأجبتهُ بجر قائم ورفع الأب، فقال لي: بأي شيءٍ ترفعه؟ فقلتُ بقائمٍ، فقال: أو ليس هو عندَكمْ (يشيرُ إلى أنه بَصْرِيُّ المنزع) اسما وتعيبوننا بتسميته فعلا دائما؟" وكأنه يريدُ أن يذكرَ علة تسميتهم له بفعل دائمٍ، إذْ يعمل في الأسماء كما تعملُ الأفعالُ.[٤٤]

وكان يصطلح على تسمية الضمير باسم المكنيِّ والكناية، يقول: "الأعدادُ لا يُكنَى عنها ثانية فلا أقولُ عندي الخمسة الدراهم والستتها وأقول عندي الحسن الوجه الجميلة فأكنى عنه." وكان ثعلب يتوسَّعُ مثلَ الفراء ويدل على أنه يميل إلى المذهب الكوفي فيُطلِق اسمَ العماد لا على ضمير الفصل في مثل جملة "محمد هو الشاعر،" "وإنَّ محمدا هو الكاتبُ،" بل أيضا يطلِق ثعْلب على ضمير الشأنِ، نحو: "إنهُ قام زيد،" "وإنَّه قامت هندٌ."

وأكثرَ ثعلب في مجالسه من تسمية النفي باسم الجحْدِ، من مثل قوله: "كلُّ استفهامٍ يكونُ معه الجَحْدُ يُجابُ المتكلمُ به ببلى ولا، وكل استفهامٍ لا جحدَ معه فالجواب فيه كلمة نعمْ؛ وإنما كُرِهَ أن يُجاب ما فيه جحدٌ بنعم لئلا يكون إقرارا بالجحدِ من جهة المتكلم." وهو يريد أن يقولَ إنك تُجيب على مثل "أمعَكَ كتابٌ؟" بكلمة "نعم،" أي أنه معكَ، وأنتَ حينئذ تقرُّ بطرح الاستفهام

[٤٤] شوقي ضيف، دون السنة، *المدارس النحوية*، ط. ٧، القاهرة: دار المعارف، ص. ٢٢٦-٢٢٧.

وحده لا غيرُ؛ وتجيبُ على مثل "أليسَ معك كتاب" ببلى، أي أنه معك كتابٌ وكأنها خُصصتْ للرجوع عن الجحدِ، ولو أنَّك قلتَ "نعم" في هذه الحالة لكانَ معنى ذلك أنهُ ليس معكَ كتابٌ؛ لأنَّ كلمة "نعم" تفيد الإقرار في الجواب بما بعد الاستفهام وبعده الجحود، وهو عكسُ الجواب، وقد سمى ثعلب لا النافية للجنس بـاسم "التبرئة" مرارا.

وكان ثعلب يكثرُ من تسمية الجرِّ باسم الخفض مقتديًا بالفراء، وهذا دليل واضح على أنه يميل إلى المذهب الكوفي. وكان ثعلب يطلِقُ الخفض أيضا على الكسر الذي يقع في آخر الأفعال المجزومة عندما تتحركُ لوجود التقاء الساكنينِ في مثل جملة "لم يذهبِ الرجلُ." ودارتْ على لسانهِ كلمتا ما يجري وما لا يجري في مقابل كلمتَيِ مصروف وممنوع من الصرفِ.

وتوسع في اصطلاح الصفة الذي مرَّ بنا عند الفراء فقد كان يطلقها على الظرف، وكان يسميه الفراءُ المحلَّ بينما كان يجعل الصفةَ خاصةً بالجار والمجرور، أما ثعلب فكان يُطلقهما عليهما؛ يقول في تعليقه على الآية الكريمة: "كيف نكلِّم من كان في المهد صبيًّا،" وقعت الصفة في موضع الفعل، يريدُ وقع الجار والمجرور متقدما على الخبر ويقول: "وإذا أفردوا الصفة رفع (مثل) زيد خلف، وزيد قدام، وزيد فوق،" وكلها ظروفٌ. ومن الشرح السابق يشير إلينا إلى اجتهاد ثعلب في بناء قاعدة النحو.

وكان ثعلب يسمِّى التمييز باسم التفسير، وسُمي البدل ترجمةً، يقول تعليقا على الآية الكريمة: "فذلك يومئذ يومٌ عسيرٌ،" يومئذ مرافع (خبر) فذلك، ويوم عسير ترجمة يومئذ. وسمى ثعلب الصفة نعتا، ولعل في هذا كله ما يصور مدى استخدامه للمصطلحات التي وضعها الفراءُ، وإن كنا نلاحِظُ أنه لم يأخذ بوجهة نظره في أن المضارع المنصوب بعد الواو والفاء وأو نُصبَ بالصرف أو الخلاف؛ فقد كان يذهب إلى أنها جميعا تنصِبُ الفعل المضارع لدلالتها على شرطٍ لأنَّ معنى مثل "هلا تزورني فأحدثك" هو إن تزرْني أحدثك، فلما نابت عن الشرط ضارعتْ كيْ، فلزمت المستقبل وعملت عملها.[٤٥]

[٤٥] شوقي ضيف، دون السنة، *المدارس النحوية*، ط. ٧، القاهرة: دار المعارف، ص. ٢٢٧–٢٢٩.

وواضح ما في هذا الرأي من ضعف في التعليل والحجة، وعقله من هذه الناحية لم يكن مثل عقل الفراء والكسائي، فقد كان يهبط عنهما درجات، ويتضح ذلك في كثير من آرائه وتعليلاته، كرأيه في أن الفعل المضارع مرفوع بنفس المضارعة، وكأنه مرفوع بنفسه.

ومرَّ أن سيبويه كان يذهبُ إلى أنَّ الألف والواو والياء في الاسم المثنى وجمع المذكر السالم هي حروف الإعراب التي نابت عن حركات الرفع والنصب والجر، وأنَّ الأخفش ذهب إلى أنَّ إعرابهما إنما هو بحركات مقدرةٍ على ما قبل هذه الأحرف؛ وذهب الجرمي إلى أنَّ انقلاب الألف في المثنى والواو في الجمع ياءً مع النصب والخفض هو الإعراب؛ وأما ثعلب (نحوي كوفي مشهور) فذهب إلى أنَّ الألف في الاسم المثنى بدلٌ من ضمتيِ زيد وزيد، وأن الواو بدل من الضمات الثلاث في زيد وزيد وزيد، وهذا هو توجيهٌ بعيد عن الحقيقة. ولاحظ الزجاجي ما في رأي ثعلب من بعْدٍ، فقال معترضا عليه: "يلزم ثعلبا أن يقال له: كيف صارت الألفُ بدلا من ضمتينِ وليست الضمة من حيز الألف ولا تُجانسها، وإذا كانت الواو في الزيدون بدلا من ثلاث ضماتٍ، فكيف يجمع إذا جمع مائة نفس؟ هل تصيرُ عنده بدلا من مائة ضمة؟ وكذلك إلى ما زاد."

وكان الكسائي والفراء وهشام يقولون: "الاسم أخفُّ من الفعل، لأنَّ الاسم يستترُ في الفعل، والفعل لا يستتر في الاسم،." وحاول أن يأتي بعلة أخرى لهذه الخفةِ، أي خفة الاسم عن الفعل، فقال: "الأسماء أخفُّ من الأفعال، إذْ أنَّ الأسماء جوامد لا تتصرف وأما الأفعال فتتصرف وهي أثقل منها،" ومعروف لدينا أنَّ من الأسماء ما يتصرف وهو المشتقات، ونفس التعليل ليس متجها، لأنَّ المعقول أن يكون المتصرف أخفُّ، ولذلك تصرف وتحرك في صور مختلفةٍ. وكان العلماء القدماء يلاحظون هذا الجانب فيه وأن تعليلاته ضعيفة جدا، مع تمثِلِه الواسع للنحو الكوفي ومع روايته الضخمة للغة وشوارد صيغها وألفاظها، فقالوا عن هذه القضية إنه كان يقول: "قال الفراء وقال الكسائي فإذا سُئلَ عن الحجة والحقيقة لم يأتِ بشيءٍ."

بالإضافة إلى ذلك، غير أن ضعف الحجة عند ثعلب ينبغي أن لا يستر عنا قيمته الحقيقية في تاريخ النحو الكوفي، فقد شهد له القدماءُ بأنه كان من معرفته ومعرفة آراء إمامَيهِ الكسائي والفراء

على ما ليس عليه أحدٌ لا مِن معاصريه ولا ممنْ خلفَهمْ، وقد مضى في إثرهما يستخدمُ المصطلحات التي جرت على ألسنتهما، واضعا السماع نصب عينيه، فهو الحجة القاطعة والبرهان الناصع على القاعدة النحوية، ونراه يعتدُّ – اعتدادَهما – بأشعار وأقوال الفصحاء المتحضرينَ مضيفا إلى ذلكَ مادة لا تكادُ تنفد من أشعار الجاهليين والإسلاميين والبدوِ المعاصرين، وهو أيضا مستعينا بما رواه الكسائي والفراء في كتبهما من تلك المادة وقد ظلَّ أحقابا متطاولة يدرسها لطلابه، وكأنهما كانا علمينِ منصوبَين أمامه، لا بآرائهما النحوية فحسبُ بل أيضا بكل ما أنشداه من نوادر الأشعار.

ووجدهما لا يعتمدان على الحديث النبوي في النحو واللغة، فتبعهما ثعلبٌ في ذلك، كما تبعهما في الاستشهاد بالقراءات، ولكنه لم يتوقف عند حروف منها على نحو ما توقف الشيخان، وكأنه كان يجد في ذلك حرجا، ولعل ذلك ما جعله يقول: "إذا اختلف الإعربانِ في القراءات لم أُفَضِّلْ إعرابا على إعرابٍ، فإذا خرجتُ إلى كلام الناس فضلتُ الأقوى." ومر بنا أن الفراء كان ينكرُ قراءة ابنِ عامر (وكذلك زُينَ لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم) بالفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول وأنكر معها البيت الذي استشهد به الأخفش واتهمه؛ وأما ثعلب فهو وثقه وأنشده في مجالسه، وبذلك وجه الكوفيين إلى اعتماد مثل ذلك في تصاريف العباراتِ.[٤٦] هذا دليل على اجتهاد ثعلب في فكرته عن النحو.

وقد أخذ ثعلب نفسه بدعم آراء الكسائي والفراء مستشهدا بما استشهدا به من أشعار ومضيفًا إليها عَتادا جديدا، خاصة إذا تناولت مسألة من المسائل التي اختلفا فيها مع البصريين، من ذلك ما كان يجيزه الكسائي من حذف لام الأمر في الفعل المضارع وبقاء جزمه مع تقدم "قلْ" وجعل من ذلك قوله تعالى: "قلْ لعبادي الذينَ آمنوا يُقيموا الصلاةَ،" أي لِيقيموها، وكان المبرد يذهب إلى أنه لا يصحُّ حذفُ هذه اللامِ حتى في الشعر، مخالفا في ذلك الكسائي وسيبويه والفراء؛ ونرى ثعلبًا يستشهدُ لذلك ببيتَيْنِ استشهد بهما من قبله الفراءُ، وهما قول أحد الشعراء:

فلا تستطلْ مني بقائي ومدتي * ولكن يكنْ للخير فيك نصيبُ

[٤٦] شوقي ضيف، دون السنة، *المدارس النحوية*، ط. ٧، القاهرة: دار المعارف، ص. ٢٢٩–٢٣٠.

بجزم كلمة "يكن،" وقول الآخر:

فقلت ادعي وأدعُ فإن أندى * لصوتٍ أن ينادي داعـــــيانِ

بجزم كلمة "أدعُ" وحذفِ حرف العلة.

ومن ذلك أنَّ الكسائي والفراء جعلا من نواصب الفعل المضارع "كما" بشرط أن لا يُفصَل بينها وبينه بفاصلٍ، ونرى ثعلبا يستشهدُ على إعمالها بقول عمر بن أبي ربيعة:

وطرفَكَ إما جئتنا فاحفظنَّه * كما يحسبوا أنَّ الهوى حيث تصرف

بينما يستشهدُ ثعلب على إلغائها لوجود فاصل بينها وبين الفعل بقول عدي بن زيد:

اسمع حديثا كما يومًا تحدِّثُه * عن ظهر غيبٍ إذا ما سائل ســألا

وقد عقب على البيتَين بقوله: "زعم أصحابنا أنَّ (كما) تنصب، فإذا حِيْلَ بينها رفعت." والنحاة البصريونَ يذهبون إلى أنَّ "كما" في بيت ابن أبي ربيعة أصلها "كيما" فحذفتِ الياء ضرورة، وقالوا في البيت رواية ثانيةً هي "لكي يحسبوا." وكان الكسائي يذهب إلى عمل أن النصب في الفعل المضارع مع حذفها، وخرَّج على ذلك حذف النون من المضارع في قِراءة من قرأَ الآيةَ: "وإذْ أخذنا ميثاق بني إسرائيلَ لا تعبدوا إلا الله،" بحذف النون في "لاتعبدوا،" وقال أصلها بأن لا تعبدوا، حذفتْ الباء وأنْ، وقد حكى ثعلب ذلك عن العرب في مثل قولهم: "خذِ اللصَّ قبلَ يأخذَكَ،" بنصب الفعل المضارع، واستشهد له بقول طرفة:

ألا أيهذا الزاجري أحضرَ الوغي * وأن أشهدَ اللذات هل أنتَ مخلدي

بنصبِ "أحضر" وحذف "أن،" وإن كان جعل ذلك شاذا، وقال إنَّ القياس الرفعُ. وقد تابع غيرُهُ من الكوفيين الكسائيَّ وجعلوا ذلك قياسا مطردا.

وكان الفراء يذهب إلى أنه يجوزُ في أن الناصبةِ للفعل المضارع أن لا تعملَ فيه النصب وأن يرفع بعدها على أن تكون مخففة من أن الثقيلة، وبذلك وجَّه قراءة: "وحسبوا أن لا تكون" برفع تكون، وقول الشاعر:

إذا متّ فادفنِّي إلى جنب كرْمةٍ * تُرَوِّي عظامي بعد موتي عروقُها

ولا تُدَفنِّيْ في الفـــــلاة فإنني * أخافُ إذا ما متُّ أن لا أذوقُها

برفع "أذوقُها،" وتبعَهُ ثعلبٌ في أنها حينئذٍ لا تعملُ النصبَ، بل اتسع بذلك وقال إنها تهمل أحيانا ولا تكون مخففة من الثقيلة، بل تكونُ مثلَ ما المصدرية التي تؤول مع الفعل بمصدر دون أن تعمل فيه، ومثل لذلك بقول بعض الشعراء:

أنْ تقرآن على أسماء ويحكما * مني السلامَ وأن لا تخبرا أحدا

وكان الكسائي والفراء يذهبان – كما أسلفنا — إلى أنَّ أَسْماء المبالغة كمثل: فعَّال وفعول لا تعمل النصب فيما بعدها لضعفها مخالفين بذلك سيبويه والنحاة البصريين، ويقول ثعلب: "أنتَ زيدًا ضرُوبٌ،" يأباهُ أصحابُنا لأنهُ لا يتصرف، ومثله مضرابٌ وضرَّابٌ أيضا، وأما أهل البصرة فهم يجيزونه."

وذهب الكسائي والفراء جميعا إلى جواز إبطالِ عمل إنَّ إذا بعُد عنها اسمها، ونرى ثعلبا ينشد قول بدوية:

فليتَ ابن جوَّابٍ من الناس حظُّنا * وأن لـــنا في النارِ بعدُ خــلودُ

ويقول بعقبه: "وأن لنا في النار بعدُ خلودُ،" رُفعَ على الاستئنافِ، وحكى الكسائي والفراء جميعا: "إنَّ فيك زيدٌ راغب،" وقالا: "بطلت إنَّ لما تباعدتْ." وهذا دليل إلى ميل ثعلب بالمذهب الكوفي.

وكان الكسائي يذهبُ إلى أنَّ إلا في مثل "ما قام القوم إلا زيد،" برفع زيد وهي حرف عطف. وكأنَّ زيدا في حقيقته فاعلٌ لـ "قام." وكأن إلا بمنزلة لا العاطفةِ في أنَّ ما بعدها مخالف لما قبلها كمثل: قام محمد لا عليٌّ. وقد توقف الفراء بإزاءِ قوله تعالى: "لئلا يكونَ للناس عليكمْ حجة إلا الذينَ ظلموا منهم،" وقال إنَّ بعض النحويين (يريد الكسائي) ذَهَب إلى أنَّ "إلا" في هذا الموضع بمنزلة الواو كأنه قال لئلا يكونَ للناس عليكمْ حجة ولا للذينَ ظلموا؛ وهذا صوابٌ في التفسير وخطأ في العربية إنما تكون "إلا" بمنزلة الواو إذا عطفتها على استثناء قبلها، فهنالك تصيرُ بمنزلة الواو كقولك لي على فلانٍ ألفٌ إلا عشرة إلا مائة، تريد "إلا الثانية" أن ترجع على "الألف،" كأنك أغفلت المائة

فاستدركها، فقلت: اللهم إلا مائة، فالمعنى له عليَّ ألف ومائة، وأن تقول: ذهب الناس إلا أخاك، اللهم إلا أباك، فتستثني الثانى، تريدُ إلا أباك وإلا أخاكَ." وعرض ثعلبٌ رأيَ الفراء والكسائي دون أن يفضل أحدَ الرأيينِ؛ ويقول: "ومن التشبيه أيضا أن توضَعَ ألا في موضع واو العطف،" كما في هذا البيتِ:

أتيت بعبدِ الله في القَدِّ مــوثقًا * فأَلَّا سعيدًا ذا الخيــانةِ والغَدْرِ

فقد اتفق الكسائي والفراء في نصب "سعيدا" أنه مفعول لفعل محذوف مثل أتيت، ثم اختلفا في جرهِ فاستحسنه الكسائي وضعَّفه الفراء، قال ثعلب: "ومن خفض أو جرَّ (يريد إلى الكسائي) شبهَ ألا بعطف النسق، والفراء يستقبحه ويجيزه فيعطف "سعيد" على عبد الله في أول الكلام، ولعلَّ وجهَ قبح العطف عند الفراء أنه قد فُصلَ بين المعطوف والمعطوف عليه." ويصرح الرضى بأنَّ ثعلبا لم يكن يجيزُ أن تعرب "زيد" في نحو "ما قام القومُ إلا زيدٌ" بدلًا كما يعربها البصريون إذ كان يأخذ برأي الكسائي في أنها في مثل هذا التعبير حرف عطف مثل لا.[٤٧]

ومن اجتهادات ثعلبٍ إضافته على أخوات كاد فعلَي نشبَ وقامَ، بينما ذهب ثعلب إلى أنَّ كلمة "عسى" حرفٌ وليستْ فعلا، وكان ثعلبٌ يذهب أيضا إلى أنَّ لفظة الاسمِ مشتقة من الوسمِ، ولذلك كان يقول: "الاسم سمةٌ توضع على الشيء يُعرَفُ بها." وذهب النحاة البصريون إلى أنه مشتقٌّ من السموِّ. وربما اختار ثعلب بعضَ آراء البصريين وآثرِها على بعض آراء مدرسته، فقد كان يذهبُ مذهبَهم في أمر كلمة "إذن" أنها يجوز إلغاؤها ورفع الفعل المضارع بعدها مع اجتماع الشروط الموجبة للنصبِ.[٤٨] وكان يقف ثعلب مع علماء البصرة في تجويزهم نحو: "ما طعامَكَ أكل إلا زيدٌ،" وهذا دليل واضح إلى أن ثعلب يميل إلى المذهب البصري في ذلك البيان؛ بينما كان الكسائي يمنع

[٤٧]ابن حاجب، *شرحُ الرضى على الكافية لابن حاجب*، المحقق: يوسف حسن عمر، ج. ١، ليبيا: دار النشر (منشورات جامعة قابوس بنغازي)، ص. ٢١٤. وانظر أيضا كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن ابن محمد بن أبي سعيد الأنباري، ٢٠٠٥ ، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين*، القاهرة: دار الطلائع، المسألة رقم ٣٥.

[٤٨]جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ١٩٩٨ م، *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*، ط. ١، المحقق: أحمد شمس الدين، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ج. ٢، ص. ٧.

منعا تاما مثل ذلك التعبير، لتقدم المفعول به، بينما الفاعل محذوفٌ، إذ كان لا تُعرَبُ "زيد" فاعلا كما يعربه البصريون، ولذلك كان يأبى مثل هذه الصيغة.[٤٩]

ولعل في كل ما قدمنا ما يوضح منزلة ثعلب في النحو الكوفي، فقد مضى يطبقه ويصدر عنه في كل ملاحظاته النحوية إلا أشياء طفيفة أَدَّاه إليها اجتهاده وكأنما كان يحملُ رايةَ هذا النحو في عصره، مستقصيا استقصاء دقيقا ضابطًا لكلِّ ما قاله إماماه هما الكسائي والفراء وكلِّ ما أنشداه من أشعارٍ مع الدفاع الشديد عنهما أمام نحاة البصرة؛ دفاعا ضابطا أساسه الاحتكام إلى السماع والرواية والإحاطة بالشاذ والنادر من اللغة وتصاريفها على ألسنة العرب والغريب من كلام العرب.[٥٠]

الاستنتاجُ

ومن البحث المكثفِ السابق ذكرُه يتمكنُ من أن يأخذ الباحث الاستنتاجات منه وهي كما يلي: (١) ذهب ثعلبٌ إلى أنَّ الألف في الاسم المثنى بدلٌ من ضَمتَيِ زيد وزيد، وأن الواو بدلٌ من الضمات الثلاث في زيد وزيد وزيد، وهذا هو فكرةٌ فريدة له باعتباره مُمَثِّلا بالمذهب الكوفي؛ (٢) الفراء يقول إنَّ الظرف حين يقع خبرا في نحو: "محمد عندك" منصوب على الخلاف، وأراد ثعلب أن يتوسطَ بينه وبين نحاة البصرة الذين يذهبون إلى أنَّ مثل "عندك" السابقةِ يُنصب بفعل مقدرٍ، تقديره "استقرَّ،" أو بتقدير اسم فاعل "مستقِرٌّ"؛ ومن تلك المسألة ذهب ثعلبٌ إلى أنَّ مثل "عندك" يُنصب بفعل مقدر ولكنه غير مطلوب، فقد اكتُفِيَ بالظرف عنه، فبقى منصوبا على ما كان عليهِ مع الفعلِ؛ هذه الحالة تشير إلى اجتهاد ثعلبٍ نفسه دون أن يوافق رأيَ الفراء أو نحاة البصرة؛

(٣) وذهب الكسائي والفراء إلى جواز إبطال عمل إِنَّ إذا بعُدَ عنها اسمُها، ونرى ثعلبا ينشدُ قولَ بدويةٍ: فليت ابن جوَّابٍ من الناس حظُّنا * وأَنَّ لنا في النار بعدُ خلودُ

[٤٩] كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن ابن محمد بن أبي سعيد الأنباري، ٢٠٠٥ ، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين*، القاهرة: دار الطلائع، المسألة رقم ٢١.

[٥٠] شوقي ضيف، دون السنة، *المدارس النحوية*، ط. ٧، القاهرة: دار المعارف، ص. ٢٣٧.

ويقول بعقبِه: "(وأنَّ لنا في النار بعدُ خلودُ) رُفع على الاستئنافِ، وحكى الكسائي والفراء جميعا: (إنَّ فيكَ زيدٌ راغبٌ)، وقالا: بطلتْ إنَّ لما تباعدتْ عن اسمِها؛" وهذا هو دليل على أنَّ ثعلب يوافق الكسائي والفراء عن أمر قاعدة النحو، ويدلُّ ذلك على انحيازه إلى المذهب الكوفي؛ (٤) ويمكنُ اختار ثعلب بعضَ آراء البصريين وآثرِها على بعض آراء مدرسته، فقد كان يذهبُ مذهبَهم في أمر كلمة "إذن" أنها يجوز إلغاؤها ورفعُ المضارع بعدها مع اجتماع الشروط الموجبة للنصبِ، نحو: إذنْ تُفلِحُ، جوابا لمن قال: "سأجتهدُ." وكان يقف ثعلب مع علماء البصرة أيضا في تجويزهم نحو: "ما طعامَكَ أكل إلا زيدٌ،" بينما كان الكسائي يمنع منعا تاما مثل ذلك التعبير، لتقدم المفعول به، بينما الفاعل محذوفٌ، إذ كان لا تُعرَبُ "زيد" فاعلا كما يُعربه البصريون، ولذلك كان يأبى الكسائي مثلَ هذه الصيغة؛ ومن الشرح السابق يُشير إلى انحياز ثعلب بالمذهب البصري؛ واعلم أنَّ انحياز ثعلب بالمذهب الكوفي أكثر بالنسبة من انحيازه بالمذهب البصري، كما عرفنا أنه من أهل النحاة الكوفيين.

وعسى أن يكون هذا البحث المتواضع نافعا للقارئين وجميع محبي النحو العربي في العالم، والاقتراح للباحثين فيما بعد يستطيعون على أن يواصلوا بالبحوث العميقة عما يتعلق بهذا البحث العلمي، أي عن ثعلب وفكرته النحوي وما أشبه ذلكَ.

المراجع:

ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، ١٩٥٩ م، *نزهة الألباء في طبقات الأدباء*، بغداد: مطبعة المعارف.

ابن حاجب، *شرحُ الرضى على الكافية لابن حاجب*، المحقق: يوسف حسن عمر، ج. ١، ليبيا: دار النشر (منشورات جامعة قابوس بنغازي).

الأنباري، كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن ابن محمد بن أبي سعيد، ٢٠٠٥، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين*، القاهرة: دار الطلائع.

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب، ١٤١٧ هـ، *تاريخ بغداد*، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا.

الجوراني، أحمد محمد محمود، ٢٠١٠، *المسائل النحوية و الصرفية في كتاب مجالس ثعلب: دراسة وصفية تحليلية*، (أطروحة ماجستير)، الجامعة الإسلامية فلسطين (قطاع غزة).

الرومي، ياقوت الحموي، ١٩٩٣، معجم *الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*، ط. ١، المحقق: إحسان عباس، بيروت – لبنان: دار الغرب الإسلامي.

الزعاقي، نوره عبد الله عبد العزيز ١٩٨٩ م، *التراث النحوي لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب*، رسالة الماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الدراسات العليا.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٩٧٩ م، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، ط. ٢، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار الفكر، ص. ٢٦٢.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٩٩٨ م، *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*، ط. ١، المحقق: أحمد شمس الدين، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

الشيباني، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار النحوي، ٢٠٢٢، *الفصيح في اللغة*، مؤسسها ورئيس مجلس إدارتها: عبد العزيز سعود البابطين، الكويت: مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي.

القِفْطي، الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، ١٩٨٦ م، *إنباه الرواة على أنباه النحاة*، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي.

ضيف، شوقي، دون السنة، *المدارس النحوية*، ط. ٧، القاهرة: دار المعارف.

فطاني، أحمد شرفي، ٢٠٢٠، *الحذف والتقدير في النحو العربي والنموذج من تطبيقهما*، يوكياكرتا: تروس ميديا كرافيكا.

Fatoni, Ahmad Sirfi, 2019, *Studi Pemikiran Abu Ali al-Farisi tentang Gramatika Arab (Representasi Tokoh Nahwu Madrasah Baghdad)*, Tamaddun: Jurnal Kebudayaan dan Sastra Islam, Vol. 19, No. 1, Juni, Hal. 84-106.

Fatoni, Ahmad Sirfi dan Nur Irmayanti Umar, 2024, *Umru' Al-Qais and His Literary Works: Study of Arabic Writer Thought*, Tanwir Arabiyyah: Arabic as Foreign Language Journal, Universitas Muhammadiyah Sumatera Barat, Indonesia, Vol. 4, No. 2, Desember 2023, Hal. 233-244.